الالتزام بين سارتر و«الآداب» والأدب العراقي

سعيد الغانمي

حين يتحدّث د. سهيل إدريس عن تجربته في إصدار مجلّة **الآداب** يتوقّف عند نظريّة «الالتزام» قائلاً: «لاشكّ في أنّ نظريّة الالتزام الّتي كانت سائدة في تلك الفترة، في الآداب العالميّة كلّها، قد تجاوبتْ أعمقَ التجاوب مع التوجّه الفكري الّذي كان يقودني بدافع من خدمة الثقافة العربيّة المعاصرة»(١).

حقّاً، لقد كانت **الآداب** تتجاوب مع التوجّه الفكري العالمي في الخمسينات، الّتي يمكن لنا أن نسمّيها حقبة **الآداب** بامتياز، لأنّها شهدتْ لا انتشار **الآداب** وازدهارها فحسب، بل اختفاء بعض المجلّات المصريّة المهمّة أيضاً. ولذلك ستحاول هذه الورقة أن تفحص مفهوم «الالتزام» كما طرحته **الآداب** في أعداد السنة الأولى، وما سبقه أو لحقه من تأثير وتأثّر يخصّ نظريّة الالتزام في الأدب العراقي. وبالتّأكيد فإنّ الجزء الأكبر من هذا الفحص سينصرف إلى النّقد المعرفي، دون أن يستغني تماماً عن النّقد التّاريخي.

في العدد الأوّل من **الآداب** تطرح المجلّة تصوّرها عن ضرورة اقتران الأدب بمفهوم الالتزام: «إنّ هدف المجلّة الرّئيسي [هو] أن تكون ميداناً لفئة أهل القلم الواعين الّذين يعيشون تجربة عصرهم، ويُعدّون شاهداً على هذا العصر: ففيما هم يعكسون حاجات المجتمع العربي ويعبّرون عن شواغله، يشقّون الطّريق أمام المصلحين، لمعالجة الأوضاع بجميع الوسائل المجدية. وعلى هذا فإنّ الأدب الّذي تدعو إليه المجلّة وتشجّعه هو أدب «الالتزام» الّذي ينبع من المجتمع العربي ويصبّ فيه»(٢).

وإذا وضعنا في حسباننا أنّ الأدب العالمي في ذلك الحين، كانت تتنازعه نظريّتا التزام، لا نظريّة واحدة، تميل إحداهما - وهي نظريّة الالتزام الماركسي - إلى ترجيح كفّة الجماعة، بينما تميل الأخرى - وهي نظريّة الالتزام السارتري - إلى ترجيح كفّة الفرد... وإذا وضعنا في حسباننا أيضاً أنّ الأدب العربي كانت تتململ فيه نظريّة التزام خاصّة سنسمّيها بـ«الالتزام الإحيائي»... فإنّنا لن نعرف أيّة نظريّة التزام من هذه النظريّات تعنيها المجلّة. وفي الحقيقة فإنّ هذه الكلمة تبدو وكأنّها تمثّل الالتزام الماركسي أكثر من الالتزام السارتري. لقد كان سارتر يركّز دائماً على «الذّات» ويرى «أنّ المجتمع إذا كان يصنع الشّخص، فإنّ الشّخص يصنع المجتمع... فالإنسان لا يوجد كما توجد الشجرة أو الحصاة، ولذلك فعليه أن «يصنع» نفسه»(٣).

إلى «الآداب»... رغم الحصار!

خليفة محمد التليسي(*)

للمرّة الأولى، في تنقّلي بين غربي الوطن وشرقيّه، شعرتُ أنّي أتجشّم عناء السفر. فأنتم تعلمون أنّ الحصار المضروب على بلادي يجعلنا نركب البحار، ونطوي البراري والقفار من أجل

(١) د. سهيل إدريس: «من حلقات سيرة ذاتيّة، كيف صدرت **الآداب** عام ١٩٥٣»، **الآداب**، العدد ١ السنة ٣٧، ١٩٨٩، ص ١١.

(٢) د. سهيل إدريس: «رسالة **الآداب**»، **الآداب**، العدد ١.

(٣) جان پول سارتر: **الأدب الملتزم**، ترجمة جورج طرابيشي، دار الآداب، ص ٢٢ - ٢٣.

وبرغم أنَّ **الآداب** تحصر كلمة الالتزام بين قوسين، فإنَّها لا تشرحها. وهي ترى أنَّ المثقّفين يعكسون حاجات المجتمع، ويعيشون تجربة عصرهم، وهم شهود عليه. لكنّ ورود كلمة «المثقّفين» بصيغة الجمع، لا «المثقّف» بصيغة المفرد، يوجهنا باتّجاه الجماعة أكثر من الفرد. ويلحّ هذا التقديم على صيغ الجمع فيتحدّث عن المثقّفين والشباب والوطنيين وفئة أهل القلم... إلخ. بعبارة أخرى يتحدّث التقديم عن الذّات الاجتماعيّة أكثر ممّا يتحدّث عن الذّات الفرديّة. وربّما كان السّبب في تغليب الذّات الاجتماعيّة على الذّات الفرديّة هنا هو أنَّ **الآداب** تفكّر «بالعمل القومي العظيم الّذي هو الواجب الأكبر على كلّ وطني».

ولعلَّ **الآداب** شعرت بأنَّ هذا التقديم لا يكفي فعادت إلى موضوعة الالتزام في العدد الثاني، لتنشر مقالة لأنور المعدّاوي بعنوان «الأدب الملتزم». وقد لاحظ المعدّاوي غياب مفهوم الالتزام عند سارتر عن المجلّة: «كم كنّا نحبّ أن تطرق **الآداب** باباً آخر من أبواب الدعوة إلى الأدب الملتزم، كما طرقه زعيم الوجوديين»[٤].

في العدد الثالث من المجلّة يعود منير البعلبكي إلى موضوعة الأدب المسؤول ـ كما يفضّل أن يسمّيه ـ بإبراز العنصر النهضوي في رسالة **الآداب** الاجتماعيّة. وكانت كلمة «رسالة» من أكثر الكلمات تكراراً في **الآداب**، مثلما في **الأزمنة الحديثة** لدى سارتر. ويؤكّد البعلبكي الرّسالة النهضويّة ـ الإحيائيّة للأدب: «نريد أدباً يعالج مشكلاتنا الأساسيّة الملحّة، ويصوّر واقعنا المعتم تصويراً يكشف لنا عن مواطن الخلل فيه، ويهيب بنا إلى إصلاحه»[٥]. ومادامت النهضة لا تقوم على الفرد، فإنَّ رسالة **الآداب** اجتماعيّة لا فرديّة.

ويكتب د. عبدالله عبدالدائم افتتاحيّة العدد الرّابع بعنوان «من رسالة الأدب القوميّة». ويُلاحَظ في هذه الافتتاحيّة أنَّ د. عبد الدائم يلجأ إلى لغة ذاتيّة هي أقرب إلى برغسون وكامو منها إلى سارتر؛ فيميّز بين الوجود العادي التافه، والوجود الحرّ الصحيح. ويرى أنَّ «تأمّل حياة شعبنا في هذه المرحلة الحاليّة تبيّن حاجته إلى توجيه أدبي من شأنه أن يشيع حرارة القيم الحقيقيّة وأن يخرجها من فتور الحياة المبتذلة التافهة». ثمَّ يجد أنَّ بين الإيمان بالفكر والنهضة والقوميّة «أواصر قربى متينة». وفي رأي د. عبد الدائم إنّ إخراج الفكر ـ دون تحديد لطبيعته الانطولوجيّة فردياً أو اجتماعيّاً ـ لا يمكن أن يخرج من إسار

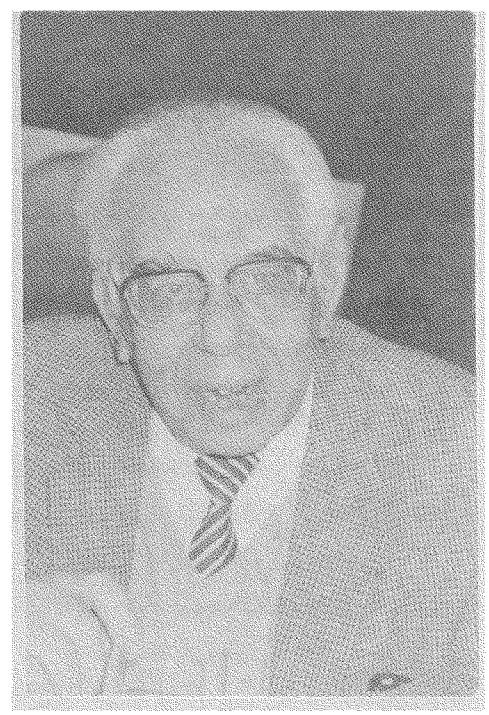

أن نصل إلى أقرب مطار ننطلق منه إلى هدفنا المقصود. وأن نركب البحار، وأن نطوي البراري والقفار أمرٌ مألوف لنا نحن اللّيبيينَ حيث تفقد المسافاتُ قيمتَها في بلادنا الرّحبة الشّاسعة. ولكن أن تقف ثلاثَ ساعات في حرّ الرّمضاء لكي يُؤْذَنَ لك بالدّخول إلى الحدود الأخرى فذلك هو العناء الذي ما بعده عناء. وما تجشّمتُهُ من عناء في سفر القدوم وما سوف أتجشّمه من عناء في سفر العودة يمثّل أجملَ وأبلغ صفحة كتبتُها في تمجيد صديقي العزيز الدكتور سهيل إدريس هذا الرّجل العظيم. ورغم أنّي لم أُخطرْ بهذه المناسبة إلاّ منذ أيّام قليلة فلم أُرِدْ لبلادي (ليبيا) التي يحظى فيها الدكتور سهيل إدريس بمكانة مرموقة لدى أدبائها وشعرائها ومفكّريها أن تتخلّف عن هذه المناسبة الكبيرة في حياتنا الثقافيّة المعاصرة. وتغني هذه الكلمات الصادقة عن أيّ شهادة مكتوبة لا تختلف في جوهرها عمّا سمعتم بالأمس واليوم من شهادات ومن أبحاث اختلط فيها البحث بالشهادة والشهادة بالبحث. فتحيّة للصّديق الكريم وشكراً لكم جميعاً.

(*) نودّ التنويه إلى أنَّ الأستاذ التليسي وزّع مداخلته الطويلة ـ وهي غير هذه التحيّة الرّائعة ـ ولكنّنا لم نتلقّ نسخةً منها، فإلى العدد القادم (الآداب).

(٤) الآداب، العدد ٢، ص ١٤.

(٥) الآداب، العدد ٣، ص ٢.